

## الموسوعة وتأويل الاستعارة عند أمبرتو إيكو

أ. ويدير نادية

جامعة مولود معمري - تيزي وزو.

يفترض الحديث عن الموسوعة الثقافية حديثا عن عهد ما بعد البنيوية، حيث سَلط الضوء على القارئ وأصبح طرفا ضروريا في تأويل النصوص، ولقد جاء ميلاد القارئ بعد إعلان رولان بارت موت المؤلف وظهور نظرية القراءة التي أعادت الاعتبار للقارئ، بعد ما كان قد أقصي في المرحلة الأولى والثانية من الحركة النقدية.

عرفت المرحلة الأولى سيطرة المؤلف وكان مدار الاهتمام فيها حول علاقة النص بصاحبه، وقد مثلت هذه المرحلة ما عرف بالنظريات السياقية كالمنهج النفسي والمنهج التاريخي، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة النصوص المغلقة على نفسها وقد مثلتها النظريتين: البنيوية والسميائية؛ ومع مجيء نظرية القراءة في المرحلة الثالثة لم يعد معنى النص محددًا من قبل المؤلف ولا من قبل النص بل من قبل القارئ، ولم يعد الاهتمام بالمعنى فقط إنما تعدى ذلك إلى البحث عن الدلالة التي يحددها القارئ ويساهم في إنتاجها.

من هذا المنطلق يتجاوز النص أحادية المعنى إلى إنتاج دلالات متعددة وغير نهائية اعتمادا على الخلفية المعرفية لمتلقي الخطاب، حيث تشكل الخلفية المعرفية والذاكرة الخاصة بالقارئ بالإضافة إلى سيرته الذاتية، ولغته، وظروف نشأته، وانتمائه الديني والعرقى والإيديولوجي، ما يعرف بالموسوعة (Encyclopédie) التي تساهم في القراءة بشكل يتجاوز النموذج القاموسي.

لم تظهر الموسوعة كإجراء تحليلي مع إيكو الذي بث تفصيلها في العديد من مؤلفاته، بل بدأت إرهاباتها الأولى مع الدراسات البلاغية والأسلوبية الحديثة التي أبدت اهتماما بثقافة القارئ وانتماءاته السياسية والدينية واللغوية ودورها في تأويل الخطابات، خاصة عند أصحاب اتجاه سيميولوجيا الثقافة المستفيد من الجدلية وفلسفة الأشكال الرمزية عند كاسيرير ولهذا الاتجاه

مؤسسون وأنصار في الاتحاد السوفيّاتي «يوري لوتمان، أيفانوف، أسبنسكي، تودوروف»، وفي إيطاليا «روسي لاندي وأمبرتو إيكو»<sup>1</sup>.  
تنطلق سيميولوجيا الثقافة من اعتبار الظواهر الثقافيّة موضوعات تواصلية وأنساق دلالية<sup>2</sup>، وترى في القارئ كائنا ثقافياً يحمل هذه الأنساق الدلالية على شكل موسوعة يستخدمها بصورة آلية في عملية القراءة وذلك من منظور ثقافي خاص به.

يحدّد مصطلح «الموسوعة» في السيميائيات المخزون الثقافي للفرد أو المجتمع، أي كل ما يشمل الفكر وفروعه، السنن المعرفية، السنن التوليدية، الشعورية التي من خلالها ندرك الواقع، فتلعب من ثم دوراً أساسياً في تأويل الفضاء النصّي والخارج نصي<sup>3</sup>.

تناول الباحثون هذا المصطلح بأسماء مختلفة، حيث عبّر عنها يول (G.yule) وبروان (G.Brown) بما يعرف عندهما بالخلفية المعرفية حيث لا يواجه القارئ النص وهو خالي الذهن، بل تعتمد معالجته للنص المعايين، من ضمن ما تعتمد، على ما تراكم من معارف سابقة تجمّعت لديه باعتباره قارئاً متمرساً قادراً على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص «والتجارب» التي سبق له قراءتها ومعالجتها، ومجموع هذه العناصر يكون المعرفة الخلفية للقارئ وهو مفهوم يتماهى مع مفهوم الموسوعة<sup>4</sup>.

أما مفهوم الموسوعة عند فولغانغ إيزر (Wolfgang Iser) فإنّه يتجلى فيما أسماه بالسجل (le répertoire) الذي يعرفه بقوله: "إنّ السجل يحتوي على موصفات، وذلك لأنّ النصّ يمتص عناصر معروفة سابقة عليه، وهذه العناصر لا ترتبط فقط بنصوص سابقة، ولكن كذلك -إذ لم يمكن أكثر- بمعايير اجتماعية وتاريخية، والسياق السوسيو-ثقافي بمعناه الواسع، والذي انبثق من النصّ، أو بما أسماه شكلانيو براغ بالواقع الخارج-جمالي. إنّ السجل هو الجزء التكويني للنصّ، وهو يحيل بالضبط إلى ما هو خارج النصّ"<sup>5</sup>، وهو بذلك يشبه مفهوم الموسوعة.

أما الموسوعة عند أمبرتو إيكو فهي تندرج في سياق استثمار مجموعة من المفاهيم الأساسية من أجل تحديد العمل التأويلي بين القارئ والنصّ؛ كون النصّ آلة كسولة تفرض على القارئ عملاً اشتراكياً من أجل ملء فضاءات اللامقول أو المقول سلفاً، وبهذا تكون فهرساً مضمراً مقتضى من قبل النصّ ومحيناً من قبل القارئ<sup>6</sup>، لذلك يعرفها إيكو بأنّها مسلّمة سيميائية، أي فرضية

ابستمولوجية يجب أن تستثير الاكتشافات والتّمثلات الجزئية والمحلية للكون الموسوعي ولا فرق داخلها بين المعرفة اللسانية ومعرفة العالم، ففي الحالتين معا يتعلّق الأمر بمعرفة ثقافية يتم داخلها شرح كل واقعة استنادا إلى الوقائع الموسوعية<sup>7</sup>؛ ومن هذا المنطلق تعدّ الموسوعة خلفية معرفية أو ذاكرة جماعية يفترضها التحليل، حيث تندرج فيها المجموعة المسجلة لجميع التّأويلات، لذلك يمكن أن نتصوّرها -يقول إيكو- موضوعيا على أنّها مكتبة المكتبات حتى تكون المكتبة أيضا أرشيفا لجميع المعلومات التي تم بطريقة من الطرق تسجيلها<sup>8</sup>.

تتضمّن الموسوعة مجموعة من المعطيات الثقافية المنتشرة في سياق سوسيو-ثقافي معيّن، يستغلها القارئ في قراءته للنصوص، لذلك فهي عبارة عن "فرضية ضابطة يقرّر المتلقي على أساسها وعند تأويل نص ما أن يبني جزءا من موسوعة تسمح له بأن يعطي للنص أو للمرسل جملة من الإمكانات الدلالية"<sup>9</sup> ممّا يضمن للنص صفة المقروئية.

### وظيفة الموسوعة وخلفياتها:

تكمن وظيفة الموسوعة في منح صفة المقروئية كحد أدنى لفهم النص، كونها تقوم بلحم يؤدي إلى انسجام بنيات النص وبنيات العالم، لتسمح من ثمة، بالانتقال من الإظهار الخطي إلى عالمه: فإن لم تتمكّن عمليتي الإدراك والفهم أن تتطلّقا من الإظهار الخطي المشكّل للواقعية المادية الوحيدة للنص، وكان الإظهار الخطي عبارة عن منتاليات من العبارات، فإنّ إسناد المعنى إلى تلك العبارات، يقتضى امتلاك الكفاءات السيميائية<sup>10</sup> التي هي كفاءات موسوعية تتمفصل في مستوى تعالقتها مع النص إلى سنن عامة وسنن فرعية، وقد تأخذ هذه السنن الفرعية في علاقتها بالبنيات الخطابية أبعادا ثقافية أو بلاغية أو أسلوبية أو كلها معا، كما قد تأخذ أبعادا تقنية معرفية في علاقتها بالبنيات السردية مثل السيناريو والإطار<sup>11</sup>؛ وهي مفاهيم تمثّل الكفاءات الموسوعية المتواجدة في مستوى الدّهن البشري.

تتوزع الخلفيات التي تحكم الموسوعة على ثلاثة مجالات علمية وهي: علم الدلالة، علم التداول (التداولية) وعلم النفس.

#### أ- الخلفية الدلالية:

تعدّ دراسة الموسوعة دراسة دلالية، وذلك لأنّ القارئ عند استعماله للموسوعة يأخذ من معارفه الدلالية ما يناسب سياق الخطاب وأهدافه.

#### ب- الخلفية التداولية:

تعتمد الموسوعة على الخلفية التداولية لأنها لا تنفصل عن الدينامية التي يمارسها القارئ على النص، وتكتسب الموسوعة هذه الدينامية من حركة مؤولاتها، حيث يحيل كل مؤول على آخر ممّا يؤدي إلى انفتاح الدلالة في النصوص.

#### ت- الخلفية النفسية:

تنكأ الموسوعة على الخلفية النفسية لأنّ التوجّه الموسوعي توجّه نفساني، والدلالات اللسانية كيانات نفسية غير مستقلة عن المفاهيم النفسية الموسوعية، وعن التنظيم المعرفي العام والقدرات المعرفية للذهن البشري<sup>12</sup>. يبدو من خلال الخلفيات الثلاث أنّ القدرة الدلالية للمتلقي تأخذ شكل موسوعة حين تلقي المعرفة اللسانية بمعرفة العالم مع الأخذ بعين الاعتبار البعد النفسي للمتلقي، وسنحاول فيما يلي تمثيل هذه الخلفيات من خلال تحليل استعارة:

#### – "طفولتي المبتورة"<sup>13</sup>.

يحاول متلقي هذه الاستعارة أن يحدّد كل المعارف والتجارب التي تصف الطفولة، متكأ في ذلك على:

أ- الخلفية الدلالية: وهي المعارف التي يمتلكها المتلقي حول معنى كلمة «الطفولة»، كأن يعرف مثلاً أنّ الطفولة هي مرحلة من مراحل العمر عند الانسان، أو أن يعرف بعض سماتها من مثل: الطفولة:

[+معنوي]، [+حي]، [+إنسان]، [+روح]، [+عقل]، [+براءة]

ب- الخلفية التداولية: من أجل تأويل استعارة «طفولتي المبتورة» يربط المتلقي كلمة «الطفولة» بالسياق الذي وردت فيه هذه الاستعارة، وهو سياق حديث خالد – وهو بطل رواية ذاكرة الجسد- عن انضمامه إلى صفوف الثوار وتعرّفه على «سي الطاهر» الذي كان يشفق عليه لأنّه إضافة إلى صغر سنّه

كان يتيما، حيث تصوّر هذه الاستعارة يتم خالد الذي فقد أمّه في سن مبكرة، من خلال تشبيه الطفولة ذات البعد المعنوي بشيء مادي مبتور، لأنّ بتر معناها قطع والقطع سمة لازمة في الشيء المادي وليس في الشيء المعنوي، ومن خلال ربط سمة البتر بالطفولة تتحقق مشابهة بين يتم خالد وذراعه المبتورة لأنّ الشيء المبتور -حسب سياق الرواية- هو ذراع خالد.

**ت-الخلفية النفسية:** يضيف المتلقّي في تأويله لهذه الاستعارة بعده النفسي باعتباره عاش هذه المرحلة ويحمل تجارب ذاتية عنها.

### فروع الموسوعة :

تنقسم الموسوعة إلى ثلاثة فروع منفصلة ومتّصلة في الآن نفسه وهي:

#### أ- الموسوعة الكونية:

يقصد بالموسوعة الكونية جانب الموسوعة العام الذي يضمّ كل ما أفرزته الثقافات من المظاهر الواسطية «من الأديان والأساطير واللغات إلى أبسط الأدلة الرمزية»، وذلك بدءا من البدايات المجهولة إلى الآن، وضمن هذه الموسوعة توجد المعارف المؤطرة ضمن مختلف العلوم<sup>14</sup>.

#### ب - الموسوعة الثقافية :

تشمل الموسوعة الثقافية كل المعارف الخاصة بالمعتقدات الحاصلة بخصوص الأدلة المتداولة في إطار هذه الثقافة أو تلك، بما فيها الأدلة التي تم تجاوزها تحت تأثير تبدل أشكال الواقعية في الزمن<sup>15</sup>.

#### ت- الموسوعة الفردية :

تمثّل الموسوعة الفردية شكل حضور معطيات الموسوعتين السابقتين «الكونية والثقافية» في ذهن الأفراد، ومن البديهي أنّ حضور هذه الموسوعة يختلف من ذات لأخرى تبعا لقدرتها الإدراكية ولنوعية المؤل الذي تستطيع تحيينه بخصوص الأدلة<sup>16</sup>. وتكمن أهمية هذا المستوى الموسوعي في كونه - وإن كان محكوما بالمستويين السابقين-يصبح متحكما في التأويلات التي تفرضا الموسوعة الكونية والموسوعة الثقافية.

ومن أجل تبين كيفية اشتغال هذه الفروع الموسوعية نقترح تحليل الاستعارة الآتية:

#### - "يهزّمه الموت"<sup>17</sup>.

تحمل كلمة «الموت» الواردة في هذه الاستعارة -التي تصوّر الموت على أنّه خصم أو عدو- دلالات متعدّدة ومختلفة باختلاف السياقات الدنيّة

والثقافية والتاريخية التي ترد فيها هذه الكلمة من مثل: «حتمية»، «مصير»، «نهاية»، «بداية»، «قضاء»، «قدر»، «انتقال»، «حقيقة»، «حق»، «حياة»، «بعث»، وأثناء تأويل هذه الاستعارة يعتمد المؤول على موسوعته الفردية، أي على ما يمتلكه من معلومات حول كلمة «الموت» باعتبار انتماؤه الثقافي والديني والعرقى، لأنه من غير الممكن أن تحضر كل الدلالات الخاصة بهذه الكلمة -سواء الدلالات الكونية «الموسوعة الكونية» أو الدلالات الثقافية «الموسوعة الثقافية»- في ذهنه، بل يختار ما تفرضه عليه موسوعته الفردية.

### خصائص الموسوعة:

تتميز الموسوعة بمجموعة من الخصائص نذكر منها:  
- تتصف الموسوعة بعدم الثبوت فهي تتغير بتغير الزمن، إذ قد تضاف لها أشياء جديدة وقد تحذف منها أشياء مع مرور الزمن، وهذا ما يجعلها متفتحة ومتجددة باستمرار<sup>18</sup>.

- تتضمن الموسوعة تأويلات عديدة وأحيانا متناقضة لذلك لا يمكن إحاطتها بوصف كلي شامل، فهي وعلى خلاف البنية المعزولة والثابتة، متفتحة ومتجددة حيث يرى إيكو أن الموسوعة بناء ثقافي يشتمل على كل عناصر المعرفة الخاصة بالإنسان ومحيطه، ولهذا السبب فهي في تبين وتجدد دائمين<sup>19</sup>.

إن خاصية استحالة وصف الموسوعة في كليتها تستند إلى الخاصية المميزة للسيرورة الاستمرارية لحركة المؤولات، وما يجعلها تتمتع بهذه الصفة، كونها في نفس الوقت كونية وثقافية وفردية<sup>20</sup>، ولتوضيح عدم شمولية الموسوعة يقترح إيكو المثال الآتي<sup>21</sup>:

إذا كان الشخص (أ) يعرف أن القط من السنوريات، هناك دائما شخص آخر (ب) لا يعرف ذلك، ولكنه يعرف على خلاف ذلك ما لا يعرف (أ) كأن يعرف مثلا أن القط حين يطبخ جيدا يشبه الأرنب في المذاق.

استنادا لمثال إيكو سنحاول أن نبين عدم شمولية الموسوعة من خلال العبارة الآتية: -"المذياح يمجّد أكل التفاحة"<sup>22</sup>.

يختلف تأويل كلمة «التفاحة» الواردة في هذه العبارة من شخص إلى آخر، إذ من غير الممكن أن تجتمع كل الدلالات الخاصة بهذه الكلمة في ذهن شخص واحد، فإذا كان هناك شخص (أ) يعرف أن التفاح يقلل من نسبة الكولسترول في الدم، فهناك شخص (ب) لا يعرف ما يعرفه (أ)، ولكنه يعرف على خلاف ذلك

المثل الإنجليزي: «تفاحة في اليوم تبعد عنك الطبيب»، كما أنّ هناك شخص آخر (ج) لا يعرف ما يعرفه (أ) ولا ما يعرفه (ب)، لكنّه يعرف على خلاف ما سبق أنّ التفاحة ترمز في التراث الدّيني لمختلف الحضارات إلى خطيئة آدم.

### علاقة الموسوعة بالسّنن:

يعتبر مفهوم الموسوعة بمثابة تطوير وإغناء لمفهوم الشّفرة أو السّنن (le code)، الذي سيطر على الدّراسات السّيميائية لسنوات عديدة، وقد فرض مفهوم الموسوعة نفسه بإعتباره بديلاً عن مفهوم السّنن، لأنّه غالباً ما تمّ فهمه (السّنن) على أنّه سلسلة من المقابلات بين كلمة وكلمة أخرى، الشّيء الذي حدا بإيكو إلى إخضاعه للنقد<sup>23</sup>، حيث خصّص له مفهومًا جديدًا يتمثل في اعتباره "مجموعة من القواعد التي تمكّننا من إعطاء معنى للعلامة"<sup>24</sup>.

يرى إيكو أنّ الموسوعة وهي تأخذ شكلها العام، تتطلّب لكي تبدو أكثر قابلة لأن تكون عملية، أن توطّر مستوياتها ضمن أنساق معرفية، ويبدو أنّ مفهوم السّنن مناسب لتحقيق ذلك، خاصة وأنّه "نسق من القواعد التي تسمح بنقل رسالة معطاة بواسطة سلسلة من الاستدلالات التي عبرها يكون المتلقّي العارف بقاعدة الاستدلال قادراً على الحصول من جديد على الرّسالة الأصليّة"<sup>25</sup>؛ وعلى الرغم من أنّ مفهوم السّنن مرتبط بالنّسق فإنّه من طبيعة مختلفة عنه، فإذا كان النّسق هو مجموعة من الاختلافات التي تقابل بين وحدات من نفس الطبيعة ومن نفس الوضع، فإنّ السّنن يقوم بالربط بين نسقين مختلفين: نسق المدلولات ونسق الدوال، وهذا يعني أنّ النّسق يَنْتِظَم وفق أسباب موضوعيّة، وبالمقابل فإنّ السّنن يتأسّس بشكل اعتباطي<sup>26</sup>، لأنّه يقوم بإرساء مجموعة من القواعد عن طريق العرف.

والحديث عن السّنن بشكل عام يقول إيكو-يعني رؤية النّقافة باعتبارها نتيجة تفاعل مقنّن، أي رؤية الفن واللغة والأشياء الاصطناعيّة وحتى الإدراك باعتبارها ظواهر تفاعل جماعي محكوم بقوانين قابلة للإظهار، ذلك أنّ حياة النّصوص محكومة بقوانين تناصيّة يعمل فيها كل مقول سلفاً كقاعدة ممكنة، وهذا المقول سلفاً يؤسّس خزان الموسوعة<sup>27</sup>، ومن هذا المنطلق يربط إيكو مسألة فهم الاستعارة بمعرفة السّنن، حيث يرى أنّ نجاح الاستعارة مرتبط بالحجم السوسيو-ثقافي لموسوعة الدّوات المؤولة، لذلك فإنّنا لا ننتج استعارات إلا على نسيج ثقافي ثري، أي عالم محتوي منظم سلفاً في شبكات مؤولة -أسنن-هي التي تقرّر «سيميائيّاً» مماثلة ومخالفة الخصائص<sup>28</sup>،

تأويل الاستعارة عند أمبرتو إيكو.

يحتلّ مفهوم التّأويل مكانا مركزيا في الدّراسات السّيميائية المعاصرة وذلك لتشغيله في حقول معرفية مختلفة، حيث عرف هذا المفهوم استعمالا مكثّفا، من طرف مجموعة من العلوم التي أغنته ووسّعت من مفهومه كالنّحليل النّفسي، الأنثروبولوجيا، علم الدّلالة، والسّيمياء بمختلف اتجاهاتها، ونظرا لما يحيط بمسألة التّأويل من تعدّد دلالي وكثرة استعمال تناول إيكو هذه المسألة في أحد كتبه وهو «الأثر المفتوح» الذي ركّز فيه على مقولة الانفتاح التي تقتضي تفاعلا بين العمل الفنّي والمتلقّي الذي يكون أثناء محاولته كشف وفهم العلامات مشروطا بثقافة محدّدة، وبأذواق وميولات تعمل على توجيهه إلى زاوية خاصة به، لذلك يرى أنّ العمل الفنّي حتى وإن كان شكلا منتهيا ومنغلقا ومنظّما فإنّه مع ذلك يبقى مفتوحا لكونه قابلا للتّأويل بطرق مختلفة دون أن يؤدّي ذلك إلى فساد خصوصيته، وإنّما يتمّ عن طريق التّفاعل بين العمل باعتباره معطى موضوعيا والذات المدركة هي التي تتولّد عنها قراءات متباينة للنص الواحد<sup>29</sup> استنادا إلى موسوعتها النّقافيّة.

يندرج التّأويل عند أمبرتو إيكو بين السّيميائيات البورسيّة وتفكيكيّة جاك دريدا (Jaque Derrida)، إذ يوافق إيكو كل قراءة انفتاحية لمفهوم السّيميوزيس البورسيّة، لكن لا يتوافق مع قراءة دريدا التي تضي عليها طابعا انفتاحيا لا متناهيا، أي لا تتحكّم فيه شروط ولا تقيده حدود<sup>30</sup>، وهذا يدلّ على أنّ عمليّة التّأويل لا تكون مفتوحة على مصراعها بحيث لا تضبطها ضوابط ولا تحدّها حدود، فعندما ننتبّع إيكو في مقاربتة التّأويليّة، نجده يحذّر دائما من تلك الخطورة التي يمكنها أن تطفو بسبب فهم خاطئ يطال مفهوم الانفتاح، إذ لا يفهم الانفتاح فهما هلاميا، لأنّه رهينة ثقافة تعدّ بمثابة الحدود الضّامنة التي تشدّ باب الرّبّيقية التّأويليّة، والمعالم التي تنير عتبات سيرورة القراءة، يطلق إيكو على هذا الضّامن مصطلح عالم الخطاب<sup>31</sup> (l'univert du discours) الذي يعدّ بمثابة الحد الوسط بين المنظورين التّأويليين السّيميائي والتّفكيكي.

#### أ - عالم الخطاب:

تنطبق مقولة الانفتاح على الاستعارة لأنّها علامة سيميائية تدخل في سيرورة تأويلية غير متناهية إلا أنّ صفة الانفتاح هذه صفة غير مطلقة وذلك لتدخّل مفهوم عالم الخطاب الذي يحدّ من نشاط الحركة التّدلّيلية على مستوى المؤلّ النهائي<sup>3</sup>.

تنتفتح الاستعارة على سلسلة من التأويلات تختلف وتتعدّد بتعدّد السياقات الواردة فيها، إذ يتمّ فيها مراعاة الشّروط الثقافيّة، والنّفسية والمقاصد، والأهداف، وبهذا ينبثق التّأويل الاستعاري من التّفاعل بين المؤلّ والنّص، حيث تكون فيه الموسوعة حاضرة بشكل مفروض وهو ما يجعل التّأويل يختلف باختلاف الثقافات<sup>32</sup>؛ وما يجعل تأويل الاستعارة يختلف من ثقافة الى أخرى هو اختلاف الخصائص التي توفّرها الموسوعة الثقافيّة للمستعار منه، ومرد ذلك إلى أنّ الموسوعة الثقافيّة بدورها تختلف باختلاف الذوات المؤلّة.

تعمل الموسوعة الثقافيّة للذوات المؤلّة على فتح باب تأويل الاستعارة على مصراعيه، إذ توفّر للمستعار منه عددا لا متناهيا من الخصائص، التي قد تتجاوز الخصائص التي يفرضها السّياق الذي وردت فيه الاستعارة، وهاهنا يتدخّل عالم الخطاب الذي يغلق باب التّأويل ويثبّط عمل الموسوعة -التي توفّر عددا لا متناهيا من الخصائص للمستعار منه- باعتبار ما يناسب السّياق، وبذلك يتحكّم في مسار التّأويل. ولتبيين دور عالم الخطاب في تأويل الاستعارة نقوم بتحليل استعارة :

"-المناصب الحلوب"<sup>33</sup>.

يتمثّل المستعار له في هذه الاستعارة في "المناصب"، والمستعار منه في البقرة التي تحمل الصفة «الحلوب»، وإذا حاولنا تحديد خصائص البقرة في مختلف الثقافات فإنّنا نجدّها أحيانا متماثلة، وأحيانا مختلفة، لكنّها في معظمها غير متناهية نذكر بعضها كالآتي:

-البقرة: [+حي]، [+حيوان]، [-عاقل]، [+ثدي]، [+لحم]، [+شحم]، [+لون]، [+أفرن]، [+عظم]، [+دم]، [+جلد]، [+أمعاء]، [+فضلات]، [+حشيش]، [+حلوب]، [+غذاء]، [+حياة]، [+شراء]، [+بيع]، [+وزن]، [+حسي]، [+صوت]، [- لغة]، [-ثقافة]، [+مجتر]، [+أليفة]، [+مذكورة في القرآن]، [+إلاه].

يعمل عالم الخطاب إزاء هذه الاستعارة على الحدّ من عمل الموسوعة بصفة يحافظ فيها المستعار منه «بقرة» على خاصية واحدة من الخصائص المذكورة أعلاه وهي: [+حلوب]، في حين يتمّ استبعاد الخصائص الأخرى لأنّها لا تناسب السّياق الذي وردت فيه هذه الاستعارة، وهو السّياق الذي تتحدّث فيه أحلام مستغانمي عن المناصب السياسيّة التي توفّر ربّحا طائلا وعليه تصبح مصدر فائدة، لذلك شبّهت الكاتبة هذه المناصب بالبقرة الحلوب التي تعدّ مصدرا للفائدة.

## ج - العالم الممكن:

يعرّف أمبرتو إيكو العالم الممكن (I'univert prototype) بقوله: "نعرف العالم الممكن بأنه حالة من الأمور يعبر عنها مجموعة من القضايا، حيث تكون كل قضية، إما م، أو لا-م"<sup>34</sup>، ويعني إيكو بقوله هذا أنّ العالم الممكن هو عالم مُتخيّل يفترضه القارئ أثناء تأويله للنصوص.

لا يعدّ العالم الممكن مفهوما مستحدثا في حقل السّميات المعاصرة، بل استقي من المجالات الفلسفية، واستثمر في السّميات النصّية، فلقد جاءت نظرية العوالم الممكنة "بتجديد في الطرح وفي الحل لإشكلات وقضايا فلسفية متنوّعة، كما نفذت إلى مجالات أخرى غير فلسفية: أدبية وعلمية، تمدها بأسباب الوصف أو التحليل أو الكشف أو التّظهير"<sup>35</sup>، إذ تبين هذه النّظرية أنّ "عالم الواقع ليس هو العالم الممكن الوحيد، بل إنّ هناك عوالم ممكنة متعدّدة وإن كان عالم الواقع هو أفضل هذه العوالم جميعا"<sup>36</sup>.

يختلف مفهوم العالم الممكن عند إيكو من المجال الفلسفي إلى مجال السّميات المعاصرة، وهذا الاختلاف مرده إلى أنّ العوالم الممكنة في المجال الأوّل هي عوالم فارغة، بينما يشير المجال الثاني إلى عوالم ممثّلة أو مؤثّنة بمجموعة من المعطيات الثقافيّة التي يختزنها القارئ في موسوعته، وقد ورد رأي إيكو في هذه المسألة في قوله: "هناك اختلاف حاسم بين مجاميع فارغة من عوالم، كتلك التي يستخدمها المنطق الجهوي\*، وبين العوالم «الفردية» المؤثّنة"<sup>37</sup> التي يتوقّع بها القارئ النصّ أثناء سيرورة القراءة، فأثناء عملية القراءة يتدخّل القارئ إزاء نصّ حكاوي ما بتوقعاته وتخميناته حول مسار الحكاية، ويؤثّث عالما حكايا استنادا لما توفّره له الموسوعة من معلومات، و"توقّع ما قد يحدث في الحكاية يعني التقدّم بفرضيات حول ما هو «ممكن»"<sup>38</sup> أن يحدث في النصّ الحكاوي كمسار الأحداث أو نهاية الحكاية.

إنّ التّوقّع الحكاوي الذي يبنيه القارئ حول حكاية ما قد يتحقّق وقد لا يتحقّق، فالقارئ لرواية ذاكرة الجسد مثلا، عندما يصل إلى المقاطع التي تبرز تعرّف البطل خالد بن طوبال على البطلة حياة عبد المولى وبداية قصة الحب بينهما، يتوقّع -استنادا إلى ما قرأه في روايات أخرى أو ماشهده في أفلام سينمائيّة- أنّ حكاية الحب بين البطلين ستستمرّ، أو قد تنتهي بعلاقة زواج وإنجاب أطفال، لكن مع استمرار القراءة يبيّن مسار أحداث الرواية أنّ توقّع القارئ لم يكن صائبا، ويثبت عكس ذلك فراق البطلين.

لا يوازى مفهوم العالم الممكن عند إيكو نصا كاملا، وبهذا الخصوص يقول: "إنّ القول إنّ عالما ممكنا يوازى نصا «أو كتابا» لا يعني القول إنّ كل نص يحكي عن عالم ممكن"<sup>39</sup>، بل هو فضاء لإنتاج مجموعة من العوالم الممكنة مثل العالم السردي الخاص بالمؤلف أو عالم القارئ، ومن هذا المنطلق ينظر إيكو إلى العالم الممكن من زاويتين، زاوية المؤلف وزاوية القارئ، فمن الزاوية الأولى يعمل المؤلف على بناء عالم ممكن لنصّه الحكائي من خلال استراتيجية لغوية يعتمدها في وصف مسار الأحداث، تستهدف إثارة تأويلات من طرف القارئ النّمودجي (le lecteur model)، وهذا التّأويل «كيفية تمّ التعبير عنه» يمثل العالم الممكن الموسوم أثناء التّفاعل التّأويلي بين النصّ والقارئ النّمودجي<sup>40</sup>، أمّا من الزاوية الثّانية فإنّ العالم الممكن هو "بناء ثقافي"<sup>41</sup> يشيّد القارئ انطلاقا من موسوعته الثّقافيّة.

ومثلما يرى إيكو العالم الممكن بناءً ثقافيا، يرى كذلك في العالم الواقعي عالما مؤثّنا ثقافيا، فالعوالم سواء أكانت متخيّلة أم واقعة، فهي عبارة عن بناء ثقافي قائم على الموسوعة، إذ لا يوجد عالم واقعي فيزيائي محض، كما لا يوجد عالم متخيّل مطلق مفارق للغة والأنظمة السيميائية<sup>42</sup>؛ وذلك لأنّ العالم الواقعي ليس عالما كاملا أي لا يجب النّظر إليه انطلاقا ممّا هو موجود في الواقع فحسب، بل يجب الأخذ بعين الإعتبار أوصاف الناس لهذا الواقع والتي تختلف باختلاف موسوعتهم الثّقافيّة.

تكمن العلاقة بين العالم الممكن والعالم الواقعي في أنّ "العالم الممكن يستعير خاصيات من العالم الواقعي"<sup>43</sup>، وعليه يوفّر للقارئ جهدا تأويليا، لذلك يمكن القول أنّ العالم الممكن "يستمد مضامينه من التّجربة الواقعية وممّا تأتي به عوالم المتخيّل"<sup>44</sup> الخاصة بالقارئ.

أمّا عن علاقة الاستعارة بالعالم الممكن، فإنّ إيكو يشترط في تأويل الاستعارة عالما ممكنا يتحقّق فيه المعنى الاستعاري، وذلك لأنّ التّعبير الاستعاري يجب أن يفهم حرفيا، لكن مع إسقاط محتواه على عالم ممكن<sup>45</sup>، وهذا معناه أنّ الاستعارة تجمع بين طرفين يحتوي كل منهما على مجموعة من الخصائص التي توفّرهما الموسوعة، وعندما يرتبط هذين الطرفين معًا تتحقّق وحدة دلالية غير معقولة تحتاج لتأويلها إلى تخييل عالم ممكن يمكن أن تتحقّق فيه هذه الوحدة، ولتبيين دور العالم الممكن في تأويل الاستعارة نقترح تحليل استعارة:

- "للحزن أناقته أيضًا"<sup>46</sup>.

تتوقّر كلمتي: الحزن والإنسان - وهما الكلمتان المشكّلتان لطرفي هذه الاستعارة أي المستعار منه والمستعار له - على مجموعة من السمات نذكر منها:

|          |          |
|----------|----------|
| الحزن    | إنسان    |
| [+مجرد]  | [+حي]    |
| [+إنسان] | [+عاقل]  |
| [+معنوي] | [+لباس]  |
| [+بكاء]  | [+أناقة] |

لكن مع ارتباط هاتين الكلمتين يكتسب الحزن السمة [+أناقة] فيصبح من غير المعقول أن يكون الحزن أنيقاً، لذلك يجب أن نتخيّل عالماً ممكناً يكون فيه الحزن أنيقاً وهذا ما يساعدنا على تأويل هذه الاستعارة، وعليه تمثّل الاستعارة عند إيكو "الخطوة الأولى، غير الواضحة بعد في سبيل بناء قالب للعالم"<sup>47</sup>، عالم متخيّل يكون فيه على سبيل المثال الحزن أنيقاً، وبذلك فإنّ "كلّ استعارة من شأنها أن تمثّل بناء عالم ممكن"<sup>48</sup> يكتسب فيه الطرف الثاني للاستعارة بعض سمات الطرف الأوّل فيتحقّق المعنى الاستعاري.

يستند الفارئ في تأويل استعارة: "ابنة الأسطور"<sup>49</sup> على تخيّل عالم ممكن تكتسب فيه الأسطورة سمة لازمة في الإنسان وهي: [+ابنة] كالآتي:

|               |               |                  |
|---------------|---------------|------------------|
| المعنى الحرفي | المعنى الحرفي | المعنى الاستعاري |
| ↓             | ↓             | ↓                |
| الأسطورة      | الإنسان       | الأسطورة         |
| [+خيال]       | [+عاقل]       | [+خيال]          |
| [+إنسان]      | [+حيوان]      | [+إنسان]         |
| [+أحداث]      | [+أب]         | [+أحداث]         |
| [+ابنة]       | [+ابنة]       | [+ابنة]          |

يرى إيكو أنّ العالم الممكن يفترض وجود فرد يعود إلى الإنسان والأسطورة في الآن نفسه، لذلك يبدو من قبل التهورّ الالتزام في تحليل الاستعارة من منظار العوالم الممكنة، ومرد ذلك إلى أنّ الاستعارة لا يسعها أن تنتج أفراداً من عالم تعاقبي\*\*، إنّما تساهم، ببساطة، في إغناء تعرّفنا إلى الأفراد اللذين ينتمون إلى العالم المرجعي نفسه<sup>50</sup>.

وعلاوة على المفهومين السابقين «عالم الخطاب والعالم الممكن» يضع إيكو خمس قواعد يجب اتباعها قصد التوصل إلى تأويل الاستعارة، وهذه القواعد هي<sup>51</sup>:

- يجب بناء تمثيل أولي لمعنى المستعار منه، شرط أن لا يتوفر في هذا التمثيل إلا الخصائص المهمة حسب سياق النص، بينما يتم تثبيط الخصائص الأخرى، وهذه العملية تمثل أول محاولة استكشافية عند إيكو.

- يجب أن نتعرف ضمن الموسوعة «المسلم بها موضعيا للعرض» على معنا آخر يملك معينا أو أكثر من المعينات التي يمتلكها المستعار منه، ليصبح هذا المعنى مرشحا للقيام بدور المعنى المستعار له، وفي حالة وجود أكثر من معنى، علينا القيام بمحاولة استكشافات أخرى اعتمادا على إشارات السياق النصي.

- يجب أن نختار واحدة أو أكثر من الخصائص أو المعينات المختلفة، ونركب عليها شجرة فورفوروية بطريقة تلتقي فيها هذه الأزواج المتعارضة عند عقدة عليا من الشجرة.

- يبرز المستعار منه والمستعار له علاقة جديرة بالاهتمام، وهي أن التقاء مختلف خصائص الاستعارة عند عقدة معينة من الشجرة الفورفوروية يشير إلى معايير سياقية نصية واضحة، وإلى تأويل محتمل للاستعارة.

- يجب أن نتحقق إذا كان بالإمكان، اعتمادا على الاستعارة المفترضة، أن نحدد علاقات دلالية جديدة، بطريقة نثري بها بصفة لاحقة القدرة المعرفية للاستعارة.

## الهوامش:

- 1- يُنظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر 2002، ص.32.
- 2- يُنظر: م ن، ص ن.
- 3- Le dictionnaire du littéraire, presses universitaires de France, 1er édition, paris mai 2002, p.163
- 4- يُنظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2000، ص.38.
- 5- Wolfgang Iser, L'acte de lecteur, Théorie de l'effet esthétique, traduit de l'allemand par Evelyne Sznycer, édition Mardaga, Bruxelles 1985, p.p.128-189.
- 6- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط 2000، ص.94.
- 7- يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 2007، ص.23.
- 8- يُنظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2005، ص.463.
- 9- م ن، ص ن.
- 10- يُنظر: محفوظ عبد اللطيف، آليات إنتاج النصّ الروائي (نحو تصوّر سيميائي)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008، ص. ص.128 - 129.
- 11- يُنظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائيّة)، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 1996، ص.95.
- 12- يُنظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص. ص.94-95.
- 13- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط23، بيروت 2008، ص.30.
- 14- يُنظر: محفوظ عبد اللطيف، آليات إنتاج النصّ الروائي (نحو تصوّر سيميائي)، ص.176.
- 15- يُنظر: م ن، ص. ص.176 - 177.

- 16- يُنظر: م. ن، ص. ص. 177-178.
- 17- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص. 260.
- 18- يُنظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص. 463.
- 19- يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص. 22.
- 20- يُنظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص. 111.
- 21- يُنظر: م. ن، ص ن.
- 22- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص. 12.
- 23- يُنظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة) ، ص. 37 .
- 24- أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص. 48 .
- 25- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص. 449.
- 26- يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص. 21.
- 27- يُنظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص. 449.
- 28- م ن، ص. 187.
- 29- يُنظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ص. 14.
- 30- وحيد بن بوعزيز، مفهوم النص والتأويل عند أمبرتو إيكو (اليات التعضيد النصي، رواية صحراء "جون ماري غوستاف لوكليزيو" أنموذجا)، بحث لنيل أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور عبد الحميد بورايو، جامعة الجزائر، الجزائر 2005/2006، ص. 29.
- 31- م ن، ص. ص. 136-137.
- 32- يُنظر: أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط 2000، ص. 160.
- 33- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص. 81.
- 34- أمبرتو إيكو، الفارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص. 168-169.
- 35- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط 1998، ص. 347.
- 36- م ن، ص ن.

\*- استعار أمبرتو إيكو مفهوم العالم الممكن من المنطق الجهوي، ويقصد إيكو بالجهة (modalité) إحدى المقولات الأربع في المنطق، وهي لاتتعلق بمضمون الأحكام، بل بقوتها ودرجتها من حيث التصديق، أي من حيث هي: ممكنة أو ممتعة، موجودة أو لا موجودة، ضرورية أو حادثة. يُنظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.123.

37- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.164.

38- م ن، ص.161.

39- م ن، ص.169.

40- يُنظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ص.71.

41- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.170.

42- وحيد بن بوعزيز، مفهوم النص والتأويل عند أمبرتو إيكو (آليات التعاضد النصي، رواية صحراء "لجون ماري غوستاف لوكليزيو" أنموذجا)، ص.33.

43- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.172.

44- أمبرتو إيكو، آلية الكتابة السردية (نصوص حول تجربة خاصة)، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية 2009، ص.7.

45- أمبرتو إيكو، تأويل الاستعارة، ترجمة: حسن بونكلابي.

[http://www.aljabriabed.net/n26\\_11butaklawi.\(2\).htm](http://www.aljabriabed.net/n26_11butaklawi.(2).htm)

46- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص.351.

47- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.199.

48- م ن، ص.198.

49- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص.103.

\*\* ينتج العالم التعاقبي عن تراكم العلم الواقعي والعالم الممكن. يُنظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص.172.

50- م ن، ص.199.

51- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص.302-304.